ماذا لو شملت كل شارع وزقاق؟

مقاهي الانترنيت في مدينة الصدر.. يرتادها حتى الاميون!

عبد الزهرة المنشداوي

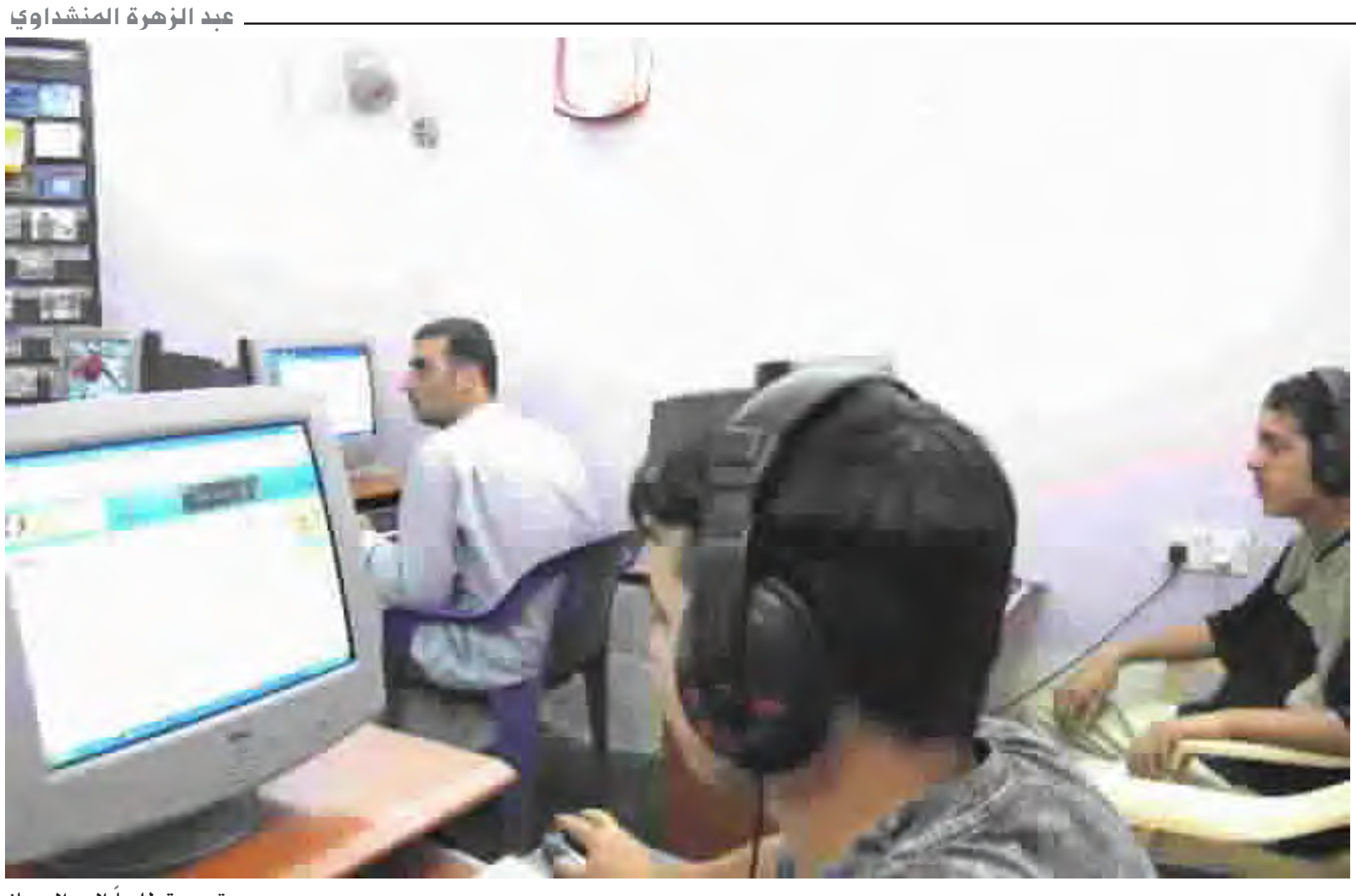

الفرج بعد الشدة معاناة سكان مدينة الصدر خلال العقود الثلاثة الماضية لا يمكن وصف شدتها بحال من الاحوال. فشبابها لم يبعد او يهمش من الحياة برمتها فقط بل اصبح صيداً وطريدة لمسؤول البلدية الذي كان يحق له انذاك مصادرة البضاعة وصاحبها من دون مساءلة، كان السبيل الوحيد للشاب من اهالي المدينة هو البيع على ارصفة الشوارع او العمل مع "الدوارة" الذين يجوبون المدن والقرى البعيدة خارج بغداد لشراء ما يمكن شراؤه من مواد مستهلكة وقديمة والمتاجرة بها "تجارة العتيق" في حين كان قسم من الشباب طرائد لمنظمات حزب البعث يعتاشون عليهم بعد تسليمهم إلى "الفرقة" أو "الشعبة" بدعوى تخلفهم او هروبهم من الخدمة العسكرية وقد راجت هذه الطريقة بعد ان كان يدفع للذي يمسك باحد من هؤلاء مبلغ خمسة وعشرين الف دينار.

***نساء متقدمات في السن يترددن للاتصال بأبناء في كل القارات**
***ما الذي يبحث عنه (التنكجي) في المقهى من معلومات؟**
***الرواد: نريد تعويض ما فاتنا.. وسد النقص في المعرفة**

لذلك لم يستقر لهؤلاء الشباب المتمردين على النظام المباد من قرار. والطلبة منهم اضطروا إلى ترك مقاعد الدراسة في الجامعات بسبب الملاحقات البوليسية، اذ كانت مدينة الثورة (الصدر حالياً) علامة مسجلة على انها معادية للنظام المباد.

ولكن هذه الصورة الكآبية تغيرت على نحو جذري. بعد ان تحرر اهالي المدينة وابناؤها من تلك الكوابيس المزمنة. وما ارتياد هؤلاء الشباب والأهالي لمقاهي الانترنيت إلا واحد من مؤشرات هذا التحول.

مقاهي الانترنيت والمدينة

بعد جولة شملت منطقتي الجوادر، والداخل تبين لنا ان عدد مقاهي الانترنيت الموجودة الآن هي سبعة بعضها افتتح منذ عام ١٩٩٩ ولكن اغلبها تم افتتاحها بعد الاطاحة بالنظام في نيسان من عام ٢٠٠٣ وهي موزعة على النحو التالي:

اثنان منها في الجوادر وخمسة في منطقة الداخل وهي المنطقة العريقة في المدينة.

هذه المقاهي على وفق ما لحظناه معتنى بها من حيث الاثاث والاجهزة وتتميز بالنظافة والنظام واستقرت جميعها في طوابق علوية لاحظنا ان بعضها يجاور البعض الآخر وان القائمين عليها هم من الشباب المتعلم ومعظمهم من الحاصلين على الشهادات الجامعية ويتمتعون بثقافة عالية وحسن تعامل مع الزبائن، وان اهدافهم من اقامتها لم تكن اهدافاً مادية صرفة وهم يشعرون بالمسؤولية العالية للمساهمة في رفع المستوى الثقافي والحضاري لابناء مدينتهم المحرومين. لهذا لم يشكل الهاجس المادي لديهم مشكلة تذكر. ومن خلال الحديث معهم عرفنا انهم يسعون إلى تغطية الكلف وحسب. وهم يأملون في ان هذه الظاهرة الحضارية سوف تتجذر بمرور الزمن وان الاقبال عليها سوف يزداد في الايام المقبلة.. انهم متفائلون..

الاستثمار في مجال مقاهي الانترنيت

في الطابق العلوي من عمارة تحتل طابقها الارضي محال بيع الكعك والصمون ترتفع لوحة حديثة واسعة الابعاد تعلن عن وجود مقهى للانترنيت.. انه مقهى مركز المدينة للانترنيت في القطاع ٣٦ في منطقة الجوادر وعندما ارتقينا سلم البناية واجهنا السيد حيدر محمد (صاحب المقهى) لنسأله عن تاريخ افتتاح هذا المركز فيجيبنا بالقول بانه كان قد افتتحه منذ ثمانية عشر يوماً فقط وعن الدوافع لافتتاحه. ذكر انه لاحظ وجود تعطش لدى شباب المدينة للمعرفة والثقافة وافتتح مقهاه من باب الافادة والاستفادة خاصة انه يتوقع ان اقبالاً متزايداً سيلاقيه بمرور الايام وان كانت المؤشرات الحالية تنبئ بان الربح من العمل في هذا المجال لا يكاد يذكر بالنسبة إلى المبلغ المستثمر فيه، لكنه مع ذلك يأمل خيراً وعن معدل مرتادي مقهاه قال انه يستقبل خمسين زبوناً يومياً وان زبائنه من مختلف الاتجاهات ما بين خريج جامعة وخريج متوسطة حتى الاميين يتوزعون في الميول على المواقع الدينية والرياضية والعلمية والمحادثة عبر شبكة الانترنيت.

وعن المواقع الاباحية وحديث روادها قال:

***مقترحات واراء لتشجيع الجميع على ارتياد مقاهي الانترنيت**

لا نسمح بالدخول على هذه المواقع ابداً. ولدينا جهاز سيطرة يمكن من خلاله الكشف عمن يدخل على هذه المواقع لمنعه حتى من ارتياد المقهى لو اقتضى الامر.

ويجيبنا ايضاً عن المواقع التي يكون الاقبال عليها اكثر من غيرها فيقول لنا: مواقع المحادثة تشهد اقبالاً اكثر من غيرها خاصة من قبل الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين السابعة عشرة والعشرين سنة تأتي بالمرتبة الثانية المواقع العلمية والثقافية وخاصة تلك التي تتداول المعلومات عن اجهزة الاتصالات والتحديث الذي يطرأ عليها هذه المواقع تكون حكراً على اصحاب محال اجهزة "الموبايل" الذين يتابعون ما يطرأ وما يطرح على الاجهزة التي تغنيهم لقراءة التقارير والبحوث وهناك اقبال على المواقع المختصة بنشر البحوث الادبية والعلمية وهذه لها مرتادوها من طلبة ومهندسين واساتذة في مختلف الفروع والاختصاصات.

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر هنا هي ان البعض يعتقد ان مقاهي الانترنيت هي اماكن للعب (البلاي ستيشن) لهذا كثيراً ما نجد شباباً يقصدوننا لهذا الامر فنوضح لهم عملنا. ونشرح لهم الاختلاف بين البلاي ستيشن وشبكة الانترنيت.

الامية والانترنيت

في قطاع ٤١ من "الداخل" في مدينة الصدر دلفنا إلى مقهى انترنيت آخر يحتل طابقاً علوياً من بناية مطلة على واجهة شارع رئيسي من شوارع المدينة وتشير اللافتة المرفوعة إلى انها مركز بغداد للانترنيت. التقينا صاحبه السيد محمود حسين / خريج اداب قسم اللغة العربية / لنسأله عن الاقبال الذي يشهده هذا المركز او المقهى فأوضح ان الاقبال لا يزال خجولاً على حد تعبيره وانه يأمل ان يزداد مستقبلاً. وعن معدل الحضور من الراغبين في الاطلاع قال: الحضور متذبذب ولا يمكن التكهن بمعدلاته. واضاف: ان الاغلبية من المرتادين هم من طلاب التسلية وعند سؤالنا عن نوع هذه التسلية رد بالقول: اعني موقع المحادثة (chat)اما عن ما ترمي اليه بسؤالك حول استخدام الشبكة للمواقع الاباحية فنحن صراحة لا نسمح به وان غافلنا احدهم بالدخول على هذه المواقع فنحن من جهتنا نمنعه من ارتياد المقهى وحصل هذا مع فتى في التاسعة عشرة من العمر.

وواصل القول:

نحن مجتمع محافظ ونسمح بالتسلية البريئة فقط وعن مسألة ارتياد الاميين لهذه المقاهي وصحة ذلك قال:

الامية بنظري نوعان: امية ابجدية واعني بها الذين لا يقرأون ولا يكتبون وامية حضارية واعني بها الذين ليس لديهم المام او معرفة باستخدام الحاسوب ونحن نتعامل مع الفئتين الفئة الاولى تمثلها نساء كبيرات في السن يأتين الينا من اجل الاتصال بالاقارب والابناء الموجودين خارج البلد وهم زبائن معتمدون لدينا وتقريباً دائميون.

وبطبيعة الحال ليست لهن دراية بالاستخدام فنقوم بمساعدتهم ونهيئ لهم الاتصال. اما الامية الثقافية فهي اكثر انتشاراً بين الرواد لكننا باقامة دورات لتعليم الكمبيوتر نستطيع التقليل منها مستقبلاً.

وفي كل الاحوال فان الرواد من طالبي البحوث العلمية والاطلاع الثقافي والمعرفي لا يزالون هم الاقل بين زبائننا.

لكن من بينهم من يواظب على الاطلاع على بحوث الفيزياء والكيمياء والتربية.

الاب والابن والانترنيت

جمعه عطية مدرس فيزياء وراء جهاز كمبيوتر كان منهمكاً بينما يجلس بجانبه ولده عمار طلبنا منه ان يتحدث الينا عن ظاهرة انتشار مقاهي الانترنيت في مدينة الصدر وعن مستقبلها وهو يرى انها ظاهرة حضارية يراد لها ان تنتشر بين الناس ولا سيما الشباب. وبالنسبة له وجد فيها رافداً يغنيه عن مصادر كثيرة فيما يتعلق بتخصصه العلمي. وذكر انه جاء من ليبيا منذ عدة ايام وانه كان يتصل بعائلته عن طريق شبكة الانترنيت في هذا المركز القريب من سكن عائلته أي انه زبون من خارج الحدود. وانه يستغل فرصة الحديث هذه مع الصحافة ينقل عبرها مقترحاً إلى وزارة التربية او الجهات ذات العلاقة بتوجيه الطلبة نحو هذه المراكز خاصة في العطلة الصيفية ليتزودوا بالمعارف من خلال الاطلاع على ما هو جديد في المجالين العلمي والادبي. وهو يعتقد ان مثل هذا الاقتراح لو اخذ به فان فاعليته ستكون كبيرة فهو اولاً سيشجع على افتتاح مزيد من مراكز شبكات الانترنيت التي تعود فائدتها على البلد والطالب معاً اضافة إلى المستثمرين في هذا المجال.

الجامعة والانترنيت

أما ولده عمار فكان يستمع إلى حديث والده وكان له ايضاً نصيب من المشاركة في الحديث اذ قال لنا بانه حاصل على دبلوم كهرباء لكنه لم يتعلم التعامل مع الكمبيوتر في الجامعة اذ ان حصة كل ٥٠ طالباً جهازان فكيف يتسنى لهؤلاء التعلم.؟

وانه من خلال ارتياده لهذا المقهى استطاع الالمام والتعلم وباستطاعته الآن الاطلاع على المواد العلمية الحديثة التي هي ضمن اختصاصه. وانه الآن يحظى بفرصة التعلم لأن الجامعة لا تتيح له ساعتين خلال الاسبوع الواحد.

***اصحاب المقاهي: ما زال الاستثمار في مجال (الانترنيت) محدوداً**

التنكجي

حدثنا احد اصحاب هذه المقاهي عن احد زبائنه الذين يرتادون مقهاه قائلاً:

كان يحضر الينا بملابس العمل ويقضي ساعات طويلة امام الكومبيوتر يتطلع إلى اللطميات والحسينيات البكائية ثم ينتقل إلى عروض الصور. وكنا نساعده اول الامر للدخول إلى هذا الموقع المحبب إلى نفسه كما يبدو لكنه،والحمد لله، تعلم مع طول المران وصار يأتي ويتخذ مجلسه ليدخل إلى الموقع.

❖حمزة جبار (١٨ سنة) لا يقرأ ولا يكتب لكنه يجلس إلى جانب جاره علي حسين (٢٠ سنة) خريج الكلية التقنية. ويبقى متطلعاً إلى الجهاز مبهوراً به. وعندما سألنا السيد علي حسين عن الكيفية التي يستثمر بها ولع صديقه من اجل التعلم.

قال بمرور الوقت سوف يتعلم قال ذلك مازحاً فضحك صديقه الامي الذي يبدو عليه انه قد عزم على تعلم الكمبيوتر كما تشير اليه هيأته.

سالنا علي عن المواقع التي يؤثرها فقال المواقع الرياضية ثم مواقع علماء الدين ثم الاخبار فسألنا مستفسرين عن سر ابتعاده عن اختصاصه باختياره هذه المواقع وبخاصة انه خريج كلية تقنية تعنى بالعلوم وتطبيقاتها. فابتسم ولم يجب.

ومن زائري هذه المقاهي ايضاً عبد الله حسين وهو شاب لا يزال صغير السن يمتهن بيع دهن السيارات لهذا تراه دائماً بملابس مطرزة ببقع داكنة وهو زبون مرغوب فيه لكونه يستمر جالساً وراء الكمبيوتر لثلاث ساعات مستمرة يستمع للاغاني ويتمتع بالصور المعروضة على احد المواقع.

الانترنيت والدين

كرار رضا مهدي حاصل على شهادة جامعية في هندسة البرامجيات ويدير مركز النورس للانترنيت في مدينة الصدر التقيناه في مقهاه ليحدثنا بالقول:

ان الاقبال على مواقع علماء الدين للاطلاع على فتاويهم واقوالهم ودروسهم اكثر من غيره ويأتي بالمرتبة الثانية اقبال العوائل التي لها ابناء واقارب خارج العراق وهي ترتاد المقهى للاتصال بهم وتأتي بالمرتبة الثالثة اصحاب الدراسات العلمية وطلبة كلية الطب.

اما مواقع عالم السيارات والرياضة فلها حصة لا بأس بها كما يقول.

وعن الاميين قال:

انهم يتعلمون الانترنيت كما تعلموا اللعب بـ (البلاي ستيشن) وان مقاهي الانترنيت تحظى باقبال واسع هذه الايام. وتبين ان لديه اجهزة مراقبة تمنع الدخول إلى المواقع الاباحية. لكن اغرب ما قاله هو رصده لاقبال اصحاب محال التأسيسات الكهربائية مؤخراً لمعرفة المستجدات التقنية في مجال اختصاصهم.

لم يتبق من القول إلا ان نذكر ان ايجار منظمة شبكة الانترنيت يبلغ اربعة آلاف وخمس مئة دولار وان ايجار الشقة يزيد قليلاً على المئة الف دينار عراقي. وان هناك بيوتاً في مدينة الصدر تم توصيل شبكة الانترنيت اليها. وثمة دعوة من اصحاب هذه المقاهي يتوجهون فيها إلى منظمات المجتمع المدني والتجمعات الثقافية للتعاون معهم في سبيل تطور هذه المقاهي وانتشارها من خلال المطالبة بتخفيف الاعباء عنها وتوجيه الشباب للانتفاع بالمعلومات التي تبث من خلال الشبكة. ولتشجيع المستثمرين في هذا المجال الحضاري الحيوي.

تحت الضوء

الحائرون.. من يرى انكسارهم؟

علي المالكي

(الف عافية)، هنيئاً لنا الخلاص من الاغلال، هنيئاً السيارات الموبايلات، والاثاث الجديد للبيت، هنيئاً لـ "توكة"ابنتي الصغيرة احتفالها بعيد ميلادها، هنيئاً لمن تقلد منصباً، هنيئاً لكم كل ما بعث الابتهاج في نفوسكم... ولكن، علينا ان نتذكر، الحائرين، اولئك الذين لن تكتمل، افراحنا، الا بخلاصهم من (حيرتهم). بل لن تكتمل انسانيتنا من دون ان نمد لهم، ايدينا مليئة ومبسوطة، ثم نفتح لهم، اذاننا وقلوبنا، لنقف على سبل خلاصهم وتخليصهم من (حيرتهم)، عندها يمكننا ان نقول اننا بشر حقيقيون.

الحائرون، آلاف مؤلفة، تجدهم حيثما تذهب، انهم منكسرون لا حيلة لهم، الا نفث الدخان الرخيص مع التأوهات المستعرة او صفق العشرة، وطقطقة الاصابع.. تقرأ الحيرة في عيونهم، وفي تلعثمهم، وهم يحدثونك عن، الحدود القصية لحيرتهم في ايجاد عمل يرتزقون منه، على سبيل المثال....

وفي (المساطر) ينفطر قلبك حين تجد رجلاً مسناً يقف بين مجموعة من الشباب، وهو يتوسل المقاول لاخذه معه للعمل وحين لا يصعد في سيارة المقاول، ويعود منكسراً، ومنكساً راسه، ربما ستشعر وكان ما حدث، لم يك الا حلماً قصيراً، وربما سيكتب شاعر عراقي نبيل، عن مثل هذا الكائن: "انه ابي، وانا ولد عاق".

وثمة في السوق تجلس، امنا العراقية، وقد فرشت ببسطتها لتبيع اكياس الحب، او اللقم، على اهل "الغيرة" وتمر بها عشرات النساء ويمر بها عشرات الرجال، من دون ان يشتري احد منها، (ياه) ايها المتعففون وكم حليم بالاشارة يفهم،.... ولكن ثمة (أمجد) الطفل العراقي الاصيل يطلب من والدته (٥٠٠ دينار)، فتسأله (ماذا تفعل بها؟) فيرد بانسانية (خطية تلك العجوز، ساشتري منها)، ويذهب ليشتري. وترى امنا العراقية الطفل امجد ملاكاً بجناحين، هي هكذا تؤمن وتعتقد بان هذا الطفل هو مبعوث السماء اليها، اذ لطالما يهبط عليها من السماء من يشتري منها.

وفي مقهى الانترنيت، يفتح الباب صبي في الحادية عشرة نحيف، يحمل بيده صينية فيها موز، وكان في الباب يقف رجل دخل قبل الصبي بلحظات، عرض الصبي على الرجل ان يشتري موزة، الا ان الرجل قال له شكراً، الا انه ظل يراقب الصبي الذي كان يدور بصينيته على زبائن المقهى المستغرقين تماماً، مر عليهم واحداً واحداً امرأة ورجل، كبير وصغير، الكل كان يكتفي بهزة من رأسه، رافضاً الشراء؛ وحين اكمل دورته، اقترب من الباب حيث ما زال الرجل واقفاً في مكانه، ولم يدر الطفل ان الرجل كان يراقبه، اوقف الرجل الصبي، واعطاه (٥٠٠ دينار) وحمل موزتين اعطى واحدة للطفل واخرى له، واصر على الطفل ان يتناولها داخل المقهى، وبينما كانا يأكلان، كان الرجل يتذكر وجوه اولاده الثلاثة وحفيديه، وهم يأكلون الموز.

الحالات المذكورة آنفاً معيشة وهي وقائع يومية، وكل منا يتصرف ازاءها طبقاً لتربيته الاجتماعية والاخلاقية، وثقافته، فاين نحن، كبشر من هذه الحالات، ما الذي فعلته وزارة العمل والشؤون الاجتماعية للعجزة؟ ما الذي تفعله العشرات من منظمات الطفولة لبائع الموز؟

لا نريد ان نفسد على الناس هناءتهم بالرفاه الجزئي الذي تحقق لهم، ولكننا نتوسم في العراقيين طيبة، هي ميزة يفخرون بها، يطعمون الحيوان الجائع ويقولون عنه "خطية" انهم شعب الخطية التي تعني "الرحمة" والرأفة والانسانية، والنبل فهل من المنطقي ان يرتضي هذا الشعب الطيب ان يكون بعضه "حائراً" وينظر بعين الحسرة؟ من المؤكد انه لا يرضى الا اذا تخلى عن دياناته وقيمه.

المطلوب اذن مزيداً من التضامن الاجتماعي، ولكن هذا وحده لا يكفي ان تعطي سمكة كل يوم لجائع هذا يعني انك ستجعله متسولاً، ولكن ان انت اعطيته شبكة وعلمته كيف يصطاد السمك فهذا يعني انك وفرت له مهنة ووفرت له ولعائلته سبل الحياة الكريمة المنتجة.

وعليه يجب على الاجهزة الحكومية ان تضع حلولاً حقيقية للبطالة، ان توفر الضمان الاجتماعي لمن لا قدرة له على اعالة نفسه، ان تخطط لتأهيل المشردين الذين يسرحون ويمرحون في شوارع المدن، ويمثلون مشاريع اجرامية ما لم ينتشلهم احد. اليس هذا وغيره هو واحد مما يستحقه المواطن من دولة ديمقراطية .تؤمن بحقوق الانسان وتعمل على تطبيقها؟